



ISSN: 1817-6798 (Print)

Journal of Tikrit University for Humanities

available online at: <http://www.jtuh.tu.edu.iq>
**JTUH**  
 مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية  
 Journal of Tikrit University for Humanities
**Dr: Abbo Souleymanou**
 Université de Maroua  
 Rep. du Cameroun

 \* Corresponding author: E-mail :  
[abbo.lawana@gmail.com](mailto:abbo.lawana@gmail.com)

00237691024372

**Keywords:**
 Abbasid period  
 artistic value  
 AL-Hamassiya  
 development  
 innovation
**ARTICLE INFO****Article history:**

Received 1 Mar. 2020

Accepted 9 Nov 2020

Available online 2 Mar 2021

E-mail

[journal.of.tikrit.university.of.humanities@tu.edu.iq](mailto:journal.of.tikrit.university.of.humanities@tu.edu.iq)

E-mail : adxxxx@tu.edu.iq

Journal of Tikrit University for Humanities

## THE HISTORIC AND ARTISTIC VALUE IN THE COLLECTION OF AL HAMASSIYA BY ABU TAMMAM

**A B S T R A C T**

The Abbasid period experienced the greatest cultural renaissance in the history of Arab-Islamic civilization with an influence on different cultures including: Persian, Indian and Greek cultures as well as their translation and fusion with Arab culture constituting the melting pot of the Arab-Muslim civilization. It constituted a new civilization for those cultures. Poetry has been influenced by this renaissance and has experienced a remarkable development in many aspects. Among the results of this literary renaissance, there is "Le recueil d'AL-Hamassiya", one of the splendors of our literary heritage, which distinguishes itself from others by its values, the pleasure and the interest of its contents, its linguistic, the artistic and historical richness, and the ideas it generates. Hence the subject of this research, which revolves around the spirit of *Hamassiya*, its artistic and aesthetic participation in the efforts made to serve this heritage. Our modest contribution is to reveal the hidden aspect of this literature and its different outlines. This work aims at probing certain aspects of the development and renewal of Arab poetry. As the author of the collection Abu Tammâm is a unique and singular icon in his style and imagination, he inspired many of his successors with his style, imagination and creativity. In addition to the introduction and the conclusion, this research is articulated around three essential points namely the definition of the poetry of Abu Tammâm, the presentation of the historical value of the enthusiasm and the highlighting of the artistic role of *Hamassiya*, by placing particular emphasis on linguistic, rhetorical, aesthetic, emotional and musical values. We have used the analytical and descriptive approach when studying the texts, with reference to the historical method and relying, to some extent, constituting the most complete approach for this type of study.

© 2021 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: <http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.28.2021.6>

### القيمة التاريخية والفنية في حماسية أبي تمام

د. أبو سليمان / جامعة مَرْوَا / جمهورية الكاميرون

**الخلاصة:**

وقد شهد العصر العباسي أكبر نهضة ثقافية في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، بتأثير العكوف على الثقافات المختلفة . فارسية، وهندية، ويونانية . وترجمتها، وانصهارها مع الثقافات العربية في بوتقة الإسلام؛ الذي أصبح حضارة جديدة لتلك الثقافات، وقد تأثر الشعر بهذه النهضة فتطور تطوراً ملحوظاً شمل الكثير من جوانبه.

فإن التراث بحر زاخر بالعطاء الفكري ونبع فياض بالإبداع الأدبي والعلمي، وإذا أحسنا المداخل إليه، وقلبنا النظر فيه في ضوء المعارف الإنسانية الحديثة وقفنا على العجب العجيب من أسرارهِ وروعته، ودقائقه ولطائفه، ولأفدنا منه كثيراً في جوانب حياتنا الأدبية والفكرية والعلمية والفنية.

ومن روائع تراثنا الأدبي ديوان الحماسية الذي يتميز عن غيره بما يحوجه من قيم، وما يتضمنه من متعة وفائدة، وثروة لغوية وفنية وتاريخية، وما يثيره من أفكار، ويبعث من همم، ويفتح منافذ للبحث، وبما بفجره من طاقات إبداعية في دنيا الأدب والنقد والعلم والمعرفة... ومن هنا كان موضوع هذا البحث الذي يدور في فلك ديوان الحماسية وقيمه التاريخية والفنية بغية المشاركة في الجهود التي تبذل لخدمة التراث، وإسهاماً منا في كشف مخابئه، واستجلاء ظواهره.

### المقدمة:

يعد "حماسية" أبي تمام، أهم اختيار شعري في التاريخ الأدبي، إذ حفظت كثيراً من شعر الشعراء المقلين والمجهولين في التاريخ الأدبي..

وأبرز شعرُ الحماسية الكثير من القيم الإنسانية والعربية، مثل: الشجاعة، والمروءة، والصبر، والكرم، والتعفف. فلا عجب أن يقول بعض النقاد القدامى: "إن أبا تمام في اختياره الحماسية، كان أشعرَ منه في شعره". ويحلو لبعض القدامى، أن يسمى هذا الديوان، الذي جمع آلاف الأبيات من الشعر العربي، بـ"الحماسة الكبرى"، ولأبي تمام جميع شعري اسمه "الحماسة الصغرى" (كتابُ الوحشيات).

لم يرصد أبو تمام في "ديوان الحماسة"، أعلام ومشاهير الشعراء، كما تفعل الغالبية في عصره، بل تناول كل من كتب في موضوعه، ألا وهو الحماسة، كما أنه لم يفصل بين عصور الشعراء، معتمداً في ذلك على أن يبحث عن المعنى لا عن العصر، كما يلاحظ أن عدداً كبيراً من شعراء الحماسة ينتسبون لقبيلة طيء التي ينتمي إليها الشاعر.

ونتبين من ديوان الحماسة، أن اختيارات أبي تمام فيه، تعبر عن الذوق الفني، إذ يقتطف مقاطع من القصائد التي تجمع إلى حُسن المعنى، جزالة اللفظ حيناً، وجمال التشبيه حيناً آخر، بينما تميز ما كان يكتبه من شعر، بعمق الفكرة وقوة اللغة. وهو ما حيرَ الباحث النقدي في تلك المفارقة بين اختياراته وأشعاره، حتى قال أحد النقاد: أبو تمام في حماسته أشعر منه في شعره!

ولديوان الحماسة أهمية كبرى بالنسبة للباحثين عن كنوز الشعر العربي، كما يحوز قيمة وأهمية أخرى بالنسبة للباحثين عن المعاني، وأجمل ما قيل في هذا الشأن، انتهالها من ينابيعها الأولى، وذلك لما يحويه الكتاب من درر المعاني وكنوز الألفاظ. كما أن الكتاب مادة أولية لمن يريد دراسة الشعر العربي بجميع أغراضه من جهة، ولدراسة المجتمع العربي من خلاله من جهة أخرى، مثل: (الحياة الجاهلية، الفنون الشعرية، وأشعار الطائيين، تطوّر الشعر بين الجاهلية والإسلام، وصف الخيل أو الحرب).

ومن خلال الصفحات التالية، سوف أحاول رصد مظاهر التطور والتجديد في القصيدة العربية، فشاعرنا

أبو تمام: صنف فريد من نوعه، فكان مجدداً على فنّه، غريباً في طريقه، مجدداً في صناعته، وشأن الجديد في كل زمان أن تعتوره الألسن والأقلام بين ماحد وقادح وهكذا كان حال أبي تمام. فهو مجدد حتى في الموضوعات التي يكون فيها الشاعر إلى التقليد كالمقدمات الطللية، وقد ارتفع حظه من هذا التفكير المنظم لارتفاع حظه من القدرات العلمية والفنية، فانعكس هذا على قدرته الإبداعية المبتكرة التي تجلّت في تأليف كتبه، الحماسية وغيرها.

وقد جاء هذا البحث في: مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة. تحدثت في المبحث الأول عن التعريف بأبي تمام بإيجاز، وفي المبحث الثاني تحدثت عن القيمة التاريخية للحماسية، وفي المبحث الثالث تحدثت عن القيمة الفنية للحماسة.

هذا وقد اتبعت المنهج التحليلي عند دراسة النصوص، كما سلكت على المنهج التاريخي في دراسة حياة الشاعر، بما يمكنني أن أزعم أنني اعتمدت بشكل أو بآخر على المنهج التكاملي، حيث رأيت أوفى المناهج لحمل أعباء الدراسة في أقسامها المختلفة.

فهذه لبنة في صرح تراثنا الأدبي الشامخ، وثمرة من ثمار قدر لها أن تترعرع في رياض الحماسة، وتزهري واحة القيم الخلقية والإنسانية العليا، فإن كنت قد قصرت فمن عندي وما أبرئ نفسي، وإن كنت قد وفقت فمن الله وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

#### المبحث الأول: التعريف بالشاعر (\*)

لست هنا في مقام البحث عن أبي تمام وشاعريته، حتى أستعرض الآراء التي دارت حوله وتناولت شعره، ولكنني هنا في مقام البحث عن القيم الفنية والجمالية في حماسيته، ولذا فإنني سأقصر تعريفي بأبي تمام عن: نسبه، ومولده، ووفاته، وعلى أهم الروافد الثقافية التي جعلت منه شاعراً ومبدعاً وإمام مدرسة في شعر العربي، لما لها من علاقة وثيقة بموضوع هذا البحث.

**أولاً: نسبه:** هو حبيب بن أوس، بن الحارث، بن قيس، بن الأشج، بن يحيى بن مروان، بن مرّ ابن سعد، بن كاهل، بن عمرو، بن عدي، بن كهلان، بن يشجب، ابن يعرب بن قحطان، الشاعر المشهور بأبي تمام الطائي، نسبة إلى طيء، وهي القبيلة العربية المشهورة، وأحد أعلام الشعر في العصر العباسي، وقد شاع ذكره، وسطح نجمه، وانتشر في الآفاق خبره، وارتقى به فنه الأدبي حتى أجلسه على رأس مذهب المجددين في الشعر العربي.

**ثانياً: مولده:** ولد أبو تمام بقرية "جاسم" على الطريق بين دمشق و "طبرية" سنة: 172هـ، ونشأ في دمشق<sup>(1)</sup>. وأقام بمصر شاباً، يافعاً، مدة خمس سنوات، ثم تركها في سنة: 198هـ، إلى دمشق، ثم يتركها إلى بغداد فيكون فيها سنة: 200هـ، وهكذا تتوالى سنوات حياة أبي تمام في شيء من الاستقامة والوضوح.

- لقد كان أبو تمام عاشقاً للأدب راوية له، حافظاً للشعر، فقد حفظ أربعة عشر ألف أرجوزة غير القصائد والمقطعات، ولم يقل الشعر قبل أن يحفظ سبعة عشر ديوان شعر للنساء فضلاً عن الرجال. وقد

أحاط نفسه بثقافة عربية، صرفة فقد كان راوية عن كثيرين، وفي الوقت نفسه تتلمذ على التراث العربي . شعرا ونثرا . بروية وفهم (2).

وهكذا كان لأبي تمام منزلته في الشعر والعلم به، وقد كان لهذا أثره في اختياراته، ومن هنا كانت حماسة أبي تمام ثمرة هذه الموهبة وذاك العلم بقديم الشعر وجديده، وجيده ورديئه، والغوص في أعماق التراث الأدبي، واصطياد لآلئه ودرره التي ضمتها دفئا الحماسية.

**ثالثاً: وفاته:** وقد توثقت الصلة بين أبي تمام وبين الحسن بن وهب كاتب من ابن عبد الملك الزيات فولاه بريد "الموصل"، غير أن حياته لم تمهله فلبى نداء الحق سريعاً، وكما اختلف الرواة في نسبه ومولده اختلفوا . أيضاً . في سنة وفاته، وأرجح الأقوال وأقواها اتساقاً مع حياته، أنها أواخر سنة: 231هـ ودفن في "الوصل" (3).

### المبحث الثاني: القيمة التاريخية للحماسية:

تعد حماسية أبي تمام مصدراً خصيباً من مصادر تاريخنا العربي، بما اشتملت عليه من شعر يمثل تاريخاً صادقاً للحياة العربية، بحياتها المختلفة: الاجتماعية، والحربية، والخلقية، والفكرية، والأدبية، والفنية، وما تحمله بين طياتها من ملامح مميزة لهذه الحياة.

كما تعد الحماسية سجلاً وثائقياً لكل القيم والمثل التي كانت مصدر اعتزاز وافتخار وإجلال وإكبار للإنسان العربي. وكما تمثل الحماسية بُعدين: بعداً موضوعياً، وبعداً فنياً، فالبعد الفني سنتحدث عنه . إن شاء الله . في المبحث التالي، أما البعد الموضوعي فيتصل بالمجتمع وبآلاته وبالعالم المحيط بالشاعر، ومن هنا كانت الحماسية بمثابة انعكاس لرؤى اجتماعية تتصل بالواقع الذي عاشه الشاعر، فهي تاريخ لهذا الواقع بكل مفرداته وظواهره، وتصوير دقيق لكل جزئياته ودقائقه.

لما كانت الحماسة ترجع في معانيها إلى معنى مركزي في الشعر العربي هو: الشجاعة أو البأس، فإنّ الشعراء يعمدون في المقاطع الحماسية، إلى توسيع معنى الشجاعة وتفصيله وتوليد معاني جديدة ومتنوعة منه. ويتم ذلك عبر الإلحاح في تصوير المشاهد الحربية وإطالة اللوحات الوصفية. فيقيم الشاعر في صلب القصيدة وحدات سردية تكوّن متى جمعناها، ما يمكن تسميته بنواة قصصية حربية، تتوفر فيها عناصر القصة المعروفة من شخصيات وأحداث وأمكنة وأزمنة. وتتعلق هذه اللوحات برصد أعمال القادة والجيوش. وفي هذا السياق تقوى الوظيفة الإخبارية التاريخية في صميم القصيدة أو يعمل الشاعر على الإيهام بذلك (4).

**إذا أردنا أن نؤرخ لمكانة المرأة في المجتمع العربي وطبيعتها مثلاً،** كانت الحماسية مصدراً أصيلاً لهذا التاريخ، فقد تبوّأت المرأة العربية مكانة عظمى في حياة الرجل العربي، فهو يخوض الحروب ويستبسل ويستخف بالموت في سبيلها، وتطالعه صورتها في ميادينها فتزيده شجاعة وبسالة وإقداماً، يقول سوار بن المضرب السعدي (5):

فَلَوْ سَأَلْتُ سِرَّةَ الْحَيِّ سَلَّمِي      عَلَى أَنْ قَدْ تَلَوَّنَ بِي زَمَانِي  
لَخَبَّرَهَا دُؤُو أَحْسَابِ قَوْمِي      وَأَعْدَائِي فَكُلُّ قَدْ بَلَانِي  
بِذِبِّي الذَّمَّ عَنْ حَسْبِي بِمَالِي      وَذُبُونَاتِ أَشْوَسَ تَيَّحَانِ  
وَإِنِّي لَا أَزَالُ أَخَا حُرُوبٍ      إِذَا لَمْ أَجْنِ كُنْتُ مِجَنَّ جَانِ

يقول أبو عطاء السندي:

ذَكَرْتُكَ وَالْخَطِيئَ يَخْطُرُ بَيْنَنَا      وَقَدْ نَهَلْتُ مِنِّي الْمُتَقَفَّةَ السُّمُرُ  
فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي وَإِنِّي لَصَادِقُ      أَدَاءٍ عَرَانِي مِنْ حَبَابِكِ أَمْ سَخَرُ  
فَإِنْ كَانَ سَحَرًا فَاعْذُرْنِي عَلَى الْهَوَى      وَإِنْ كَانَ ذَاءً غَيْرَهُ فَلِكِ الْغَدَرُ

وفي مخاطبة العربي لامراته، نراه يكتفيها بخير الكني وعظيم الألقاب، تكريما لها وتفخيما لشأنها وتعظيمها لقدرها، ومن ذلك قول حاتم الطائي يخاطب زوجته:

أَيَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَةَ مَالِكٍ      وَيَا ابْنَةَ ذِي الْبُرْدَيْنِ وَالْفَرَسِ الْوَرْدِ  
إِذَا مَا صَنَعْتَ الزَّادَ فَالْتَمِسِي لَهُ      أَكْمِيلاً فَإِنِّي لَسْتُ أَكِلُهُ وَخُدي

وقول عمرو بن الأهتم:

ذَرِينِي فَإِنَّ الشُّحَّ يَا أُمَّ هَيْثُمَ      لِصَالِحِ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ سَرُوقُ<sup>(6)</sup>

وقال زيد الفوارس بن حصين بن ضرار:

أَقْلِي عَلَيَّ اللَّوْمَ يَا ابْنَةَ مُنْذِرٍ      وَنَامِي فَإِنْ لَمْ تَشْتَهِي النَّوْمَ فَاسْهَرِي

وعروة بن الورد يقول:

ذَرِينِي وَنَفْسِي أُمَّ حَسَّانَ إِنَّنِي      بِهَا قَبْلَ أَلَا أَمْلِكَ الْبَيْعَ مُشْتَرِي

وقول شاعر آخر:

أُمَّ الْوَلِيدِ سَلَبْتَنِي حِلْمِي      وَقَتَلْتَنِي فَتَحَلِّي إِثْمِي  
بِإِلَهِ يَا أُمَّ الْوَلِيدِ أَمَا      تَخْشَيْنَ فِي عَوَاقِبِ الظُّلَمِ

وفي هذا دليل على مكانة المرأة عند الشاعر الجاهلي، وقد بالغ الشاعر الجاهلي من تكريم العربي للمرأة فنراه يستهل قصائده بها، واصفا ما يعتريه من حبها وهجرها ووصالها، فهي دائما في عقله وشعوره ووجدانه لا تفارقه ولا تبرحه<sup>(7)</sup>.

قد يتبادر إلى الذهن سؤال عن صلة النسيب بالحماسة، والصلة في رأيي وثيقة، فالحرب بكل ما يتعلق بها ميدان الحماسة والفروسية الحربية، والحب بكل ما يتعلق به ميدان الفروسية الخلقية السامية. فالمحب الفارس الذي يحارب ويخاطر بنفسه من أجل محبوبته تدفعه أخلاق الفارس من المروءة والنخوة والشجاعة إلى أن يرتفع بحبه عن الغايات الجسدية إلى غايات أسمى وأنقى.

فالفروسية تمثل لنا جانبين من جوانب الحياة الجاهلية؛ جانب الحرب، وجانب المثل العليا، لأنهما بناء واحد وروح واحدة، وإن ظهرت بمظهرين متلازمين وشكلين مترابطين، فشخصية الفارس البطل تملأ عليه

أن يكون إنسانا ساميا في مثله إلى جانب بطولته، والحياة الجاهلية بطولة متصلة، وحماسة متشابكة، يكمل الجزء منها بقية الأجزاء، وتجتمع الأسس ليقوم عليها البناء الشامخ الذي احتضن الفروسية بكل مفاهيمها ومعانيها.

ولقد تمثلت لنا هذه الفروسية بجانبها: الخلقي والحربي في شعر الفرسان الذي طبع بطابعهم المتميز، فرسموا لنا أخلاقهم التي عاشوها، ومثلهم التي سنوها، وقيمهم التي بذلوا دونها المهج والأرواح، فاختلفت بطولاتهم الحربية بمكارم أخلاقهم . ومثلهم التي تجاوزت الحروب إلى مناحي الحياة<sup>(8)</sup>. وذهب بعض الباحثين إلى أن أبا تمام عمد إلى أن يجعل هذا الباب رابع أبواب الكتاب ليريح قارئه من عناء الفكر الجاد الذي يقتضيه تأمل الأبواب الثلاثة السابقة، ولتهيئة العناء المطلوب في تأمل الأبواب<sup>(9)</sup>.

وقد يكون لهذا الرأي وجهته؛ إلا أننا نرى أن أبا تمام قد جاء بالنسيب بعد باب الأدب ليعطينا صورة صادقة وكاملة لشخصية الإنسان العربي بكل ما تحمله كلمة إنسان من معان وقيم. ففي باب الأدب صورة لرجاحة عقل العربي، ونفاذ فكره، وبصارة بصيرته، وخلاصة تجربته، وفي باب النسيب صورة لرقعة قلبه وشعوره وإحساسه، هذه الصورة المتكاملة لشخصية الإنسان العربي، هي التي جعلت أبا تمام يحرص في حماسه على إبراز هذه الصورة، وإذا كان العربي يحمل بين جنبه في الحروب قلبا أشد صلابة من الصخر، فقد كان يحمل بين جنبه - أيضا - قلبا أرق من الماء، وألطف من الهواء، يفيض بالرحمة والحنان، فتراه يحنو على ذوي الأرحام والأهل والإخوان والجيران والضيغان واللفهان، ويرق أمام لوعة الحب وسطوة الهوى وشدة الوجد.

هذه القيم الخلقية التي امتزجت بلحم العربي ودمه، وسرت في عروقه هي التي وصلت بين أبواب الحماسية وموضوعاتها وتطالعنا هذا القيم في نسيب الشعراء ويقول ابن الدمين في حياء المحب:

وإني لأستحييك حتى كأنما عليّ بظهر الغيب منك رقيب

ويقول الشاعر في حفظ العهود والمواثيق وإن بعد المحب ونأى الحبيب:

أَسَجَنَّا وَقِيداً وَاشْتِيَاقاً وَغُرْبَةً وَنَأْيَ حَبِيبٍ إِنَّ ذَا لَعَظِيمٍ

وَإِنَّ أَمْرًا دَامَتْ مَوَاقِيقُ عَهْدِهِ عَلَى مِثْلِ هَذَا إِنَّهُ لَكَرِيمٍ

إلى غير ذلك من القيم الخلقية والمشارع الإنسانية النبيلة، والعواطف الصادقة المعجمة بلهيب الحب ولوعة الهوى.

وهكذا فإن هذه المعاني الجليلة والقيم النبيلة تعدّ مكونا مهما، من مكونات شعر الحماسية لا يمكن تغيبه أو التقليل من شأنه، بل لعل هذه المعاني هي التي حفزت الشعراء على التفنن في الصياغة لإخراج معيار جمالي، سعيا إلى إمالة النفوس نحوها وعطف القلوب عليها وتحبيب الناس فيها<sup>(10)</sup>.

على أنه قد يكون لشعر الحماسة قيمة أخرى تتصل بما فيه من بعد تاريخي توثيقي، إذ قد كان مجالا سجّل من خلاله الشعراء كثيرا من الوقائع والأيام، وأبرزوا على واجهة التاريخ قادة عسكريين أفاضوا لم تكثر بهم كتب التاريخ التي كثيرا ما تنسب الانتصارات في الحروب إلى الأمراء والحكام والخلفاء

وتتناسى دور القادة الميدانيين، وهذا البعد واضح من خلال حضور القرائن الزمنية وأسماء الأعلام والأماكن.

وكذلك إذا أردنا أن نؤرخ للصلات الأسرية كصلة الأرحام، والعلاقة من الآباء والأبناء، والانتماء للأهل والعشيرة، والولاء القبلي، وتعدد الطبقات وجدنا في مختارات الحماسية ينبوعا ثريا ورافدا أصيلا يغذي هذا الجانب، بل جوانب الحياة الاجتماعية كلها، ومن هنا تبرز قيمتها التاريخية.

وكما كانت الحماسية تاريخا للحياة الاجتماعية كانت تاريخا- أيضا- للحياة الحربية، وأيام العرب ووقائعهم، ومن ذلك قول أبي الغول الطهوي في يوم "الوقبي" وكان بين بكر ومازن<sup>(11)</sup>:

فَدَتِ نَفْسٍ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينِي      فَوَارِسَ صَدَقْتُ فِيهِمْ ظُنُونِي  
فَوَارِسَ لَا يَمْلُونُ الْمَنَايَا      إِذَا دَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ الزُّبُونِ  
وَلَا يَجْزُونَ مِنْ حَسَنِ بَسِيءٍ      وَلَا يَجْزُونَ مِنْ غِلْظِ بَلِينِ  
وَلَا تَبْلَى بِسَالَتُهُمْ وَإِنْ هُمْ      صَلُّوا بِالْحَرْبِ حِينًا بَعْدَ حِينِ

وقول امرأة بني شيبان في يوم "عين أباغ":

وَقَالُوا مَا جِدَّا مِنْكُمْ قَتَلْنَا      كَذَاكَ الرُّمْحُ يَكْلَفُ بِالكَرِيمِ  
بِعَيْنِ أَبَاغٍ قَاسَمْنَا الْمَنَايَا      فَكَانَ قَسِيمُهَا خَيْرَ الْقَسِيمِ

وقول جعفر بن علبة الحارثي في يوم يوم "سحبل":

أَلْهَفِي بِقُرَى سَحْبَلٍ حِينَ أَحْبَلْتُ      عَلَيْنَا الْوَلَايَا وَالْعُدُوَّ الْمُبَاسِلُ  
فَقَالُوا لَنَا ثِنْتَانِ لَا بُدَّ مِنْهُمَا      صُدُورُ رِمَاحٍ أَشْرَعَتْ أَوْ سَلَابِلُ  
فَقُلْنَا لَهُمْ: تِلْكَمُ إِذَا بَعْدَ كَرَّةٍ      تُغَادِرُ صَرَغَى نَوُؤُهَا مُتَخَاذِلُ  
لَهُمْ صُدْرُ سِنْفِي يَوْمَ بَطْحَاءِ سَحْبَلٍ      وَلِي مِنْهُ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ الْأَنَامِلُ

وقول عمرو بن مخالة الكلابي في يوم "مرج راهط" وكان بين المروانية والزبيرية:

وَيَوْمٍ تَرَى الرَّرَايَاتِ فِيهِ كَأَنَّهَا      حَوَائِمُ طَيْرٍ مُسْتَدِيرٍ وَوَاقِعُ  
مَضَى أَرْبَعٌ بَعْدَ اللَّقَاءِ وَأَرْبَعٌ      وَبِالْمَرْجِ بَاقٍ مِنْ دَمِ الْقَوْمِ نَافِعُ  
طَعَنَّا زِيَادًا فِي اسْتِهِ وَهُوَ مُذَبِّرٌ      وَثُورٌ أَصَابَتْهُ السُّيُوفُ الْقَوَاطِعُ  
وَقَدْ شَهِدَ الصَّفَيْنِ عَمْرُو بْنُ مُحَرِّزٍ      فَصَاقَ عَلَيْهِ الْمَرْجُ وَالْمَرْجُ وَاسِعُ

وقول سُلَيْمَانَ بْنِ قَتَّةِ الْعَدَوِيِّ فِي يَوْمِ "الطف":

مَرَّرْتُ عَلَى أَنْبِيَاتِ آلِ مُحَمَّدٍ      فَلَا يُبْعِدُ اللَّهُ الدِّيَارَ وَأَهْلَهَا  
أَلَا قَتَلَى الطِّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ      أَدَلَّتْ رِقَابًا مِنْ قَرِيشٍ فَذَلَّتْ  
وَكَانُوا غِيَاثًا، ثُمَّ أَضْحَوْا رَزِيَّةً      لَقَدْ عَظُمَتْ تِلْكَ الرَّرَايَا وَجَلَّتْ  
فَمَا حَفِظُوا قُرْبَى النَّبِيِّ وَحَقَّهُ      لَقَدْ عَمِيَتْ عَنْ ذَاكَ مِنْهُ وَصَمَّتْ

وقول قتيلة بنت النضر بن الحارث في مقتل أبيها يوم بدر:

أُمَحْمَدٌ وَلَأَنْتَ ضِنْءٌ نَجِيبَةٌ      مِنْ قَوْمِهَا وَالْفَعْلُ فَحْلٌ مُعْرِقٌ  
مَا كَانَ ضَرْكَ لَوْ مَنَنْتُ وَرُبَّمَا      مَنَّ الْقَتَى وَهُوَ الْمَغِیْظُ الْمُحْنَقُ  
وَالنُّضْرُ أَقْرَبُ مَنْ أَصَبَتْ وَسِيلَةً      وَأَحَقُّهُمْ إِنْ كَانَ عَثَقُ يُعْتَقُ<sup>(12)</sup>

وكان مقتل النضر بن الحارث يوم مرجع النبي (صلى الله عليه وسلم) من بدر، فقد أمر عليا أن يضرب عنقه صبورا، فلما عرضت قتيلة للرسول عليه الصلاة والسلام وهو يطوف بالبيت وأنشدته هذا الشعر قال: "لو كنت سمعت شعرها هذا ما قتلته"<sup>(13)</sup>.

وهكذا كانت الحماسية تاريخا للحروب والوقائع والأحداث التي شهدتها الحياة العربية، كما كانت تريخا وسجلا لأدوات القتل وآلات الحرب، فضلا عن قيم الفروسية التي تحلى بها العربي، ومن هنا تكتسب الحماسية قيمتها التاريخية. وكما كانت الحماسة تاريخا للحياة الاجتماعية والحربية كانت - أيضا - تاريخا للحياة الخلقية من كرم وشجاعة ومروءة ونجدة وحرية وإباء وحلم ووفاء وعفة وحياء وما يقابلها من بخل وجبن وغدر...، وهي أضداد لا يخلو منها مجتمع من المجتمعات، وبهذا تتجلى لنا قيمة الحماسية التاريخية<sup>(14)</sup>. وتتمثل قيمة الحماسية التاريخية في تصويرها الجوانب النفسية للعربي صاحب النخوة والغيرة والحمية، الذي ينفعل بسرعة، وتثور ثائرته، وتتفجر براكين مشاعره وأحاسيسه، ويتجاوب حسّه مع أجواء العالم المحيط به وواقعه الذي يحياه، فإذا به يندفع اندفاع السيل دفاعا عن الشرف والعرض والأرض والحمى، ويهب كالريح وبحماسة منقطعه النظير لحماية القيم الأخلاقية والإنسانية التي تمثل روحه وحياته، وقوته وغذائه، والتي يحيا بها ولها ويضحى بنفسه في سبيلها.

وكانني بأبي تمام في حماسيته هذه أراد أن يؤرخ لعالم الشعور والوجدان العربي الثائر الهادر، والعواطف الصادقة الوايقة.

وإلى جانب ما ذكرنا تأتي أهمية الحماسية وقيمتها التاريخية في كونها مصدرا من مصادر الشعر الجاهلي، وإذا كانت الحماسية ليست لها رواية انتقلت بها إلى أبي تمام، ولا رواية أخذت بها عن أبي تمام، وإنما أخذها أبو تمام من الكتب، وانتقاها من الدواوين والمجاميع، لم يقرأها على أحد، ولم يقرأها عليه أحد مما أفقدها ركن الرواية والإسناد؛ فإن مدونات الشعر الجاهلي التي اعتمد عليها أبو تمام قد انتقلت من القرن الأول الهجري إلى القرن الثاني الهجري على يد الطبقة الأولى من الرواة العلماء، وأن بعضها ربما كتب منذ صدر الإسلام، وبذلك يكون التدوين في الصحف المتفرقة وفي الدواوين المجموعة رافدا كبيرا يسائر الرافد الآخر. وهو الرواية الشفهية. ويعاصره، ولا يقل عنه قيمة، وهما معا يكونان هذا الجدول العظيم الذي نسميه: الرواية الأدبية، من هنا كانت مختارات الحماسية من المختارات الموثوق برواتها. هذا فضلا عن كون أبي تمام كان رواية للأدب، مما جعل العلماء والنقاد يجمعون على الثقة في روايته<sup>(15)</sup>.

### المبحث الثالث: القيمة الفنية للحماسة:

تتمثل قيمة الحماسة الفنية، في البعد الفني الذي قامت عليه في انتقائها واختيار مقطوعاتها، ويتمثل هذا البعد الفني في كون اختيارات الحماسة اختيارات شاعر ذواقة، عالم بالشعر، بصير به، يحسن بالجميل منه ويحياه أكثر من غيره، ولذا وجدنا مختاراته تستحوذ على إعجاب العلماء فتمثلوا أشعارها في شواهدهم البلاغية والنحوية واللغوية. ومن معايير الاختيار عند أبي تمام:

1-الجمال الفني. 2- التصوير البياني. 3- التركيب النحوي. 4-المعنى اللغوي.

فلقد استشهد بأبياتها القاضي البلاقاني في كتابه "إعجاز القرآن" في حديثه عن البديع، ومن ذلك قوله في المطابقة: "ومما قيل فيه ثلاثة تطبيقات قول رجل من بلعبر:

يَجْزُونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانًا

وقوله: ومن بديع الاستعارة قول تأبط شرا<sup>(16)</sup>:

فَخَالَطَ سَهْلَ الْأَرْضِ لَمْ يَكْدَحِ الصَّفَا بِهِ كَدْحَةً وَالْمَوْتُ خَزِيَانٌ يَنْظُرُ

كما استشهد بأبياتها على المماثلة، والمقابلة، والمساواة، ومراعاة النظير، وصحة التقسيم، والسلب والإيجاب، والإعراض، والرجوع. وعرج على أبياتها أئمة النحو وعلماءه فاستشهدوا بأبياتها في مختلف قواعدهم<sup>(17)</sup>.

وإذا كان أبو تمام قد وسّع في دائرة اختياراته، فاختار لشعراء العصور التي سبقتة، فضلا عن عصره؛ فإن الكثرة الكثيرة جاءت لشعراء ما قبل الإسلام وبعده، ومن هنا كانت أهمية الحماسة لدى علماء اللغة الذين توخوا في أعمالهم شعر عهود الاحتجاج، فالشعر في عصوره الأولى أعرق في العروبة، وكتب اللغة وأصولها أحق به وأولى. وقد وجد علماء اللغة في ألفاظها مادة خصبة لفهم معانيها وتقريرها، وتصويب ما وقع فيه بعض العلماء من أغلاط في استعمال الألفاظ اللغوية ومعانيها. ومن ذلك ما أخذه على بن حمزة في كتابه "التنبيهات" على أبي العباس المبرد في تفسير قول الشاعر<sup>(18)</sup>:

أَلَسْتُ أَرُدُّ الْقِرْنَ يَرْكَبُ رَدْعَهُ وَفِيهِ سِنَانٌ ذُو غَرَارَيْنِ يَابِسُ

فإنما اشتقاقه من السهم يقال: ارتدع السهم إذا رجع متأخراً، ويقال: ركب البعير ردعه إذا سقط، فدخل عنقه في جوفه، والكلام مشتق بعضه من بعض، ومبين بعضه بعضاً، وليس الردع هنا مما ذكر، وإنما هو من التضمخ بالزعران والخلق وما أشبههما، ولذلك سميت ضواحي الإنسان المرادع، وقال ابن دريد في الجمهرة: يقال: ركب ردعه: إذا جرح فسقط في دمه، وأما الذي ذكره في السهم فمأخوذ من ضرب الحداد رؤوس المسامير<sup>(19)</sup>.

وتتمثل قيمة الحماسة الفنية في كونها تمدنا بمجموعة كبيرة من شعر الصعاليك متنوعة الأغراض، كما يمدنا التبريزي في شرحه عليها بمجموعة أخرى كبيرة، تجعل من هذا المصدر مصدراً أساسياً لشعر الصعاليك. وإلى جانب الشعراء الصعاليك يأتي اختيار أبي تمام للشعراء المقلين والمجهولين، . وشعر المقلين أولى أن يكون أكثر صفلاً وتهذيباً، وأقل شعثاً وفضولاً، ثم إن شعر المكثرين قد علمه الناس أو

كثير منهم، فلا خوف عليه أن يضيع مع الزمن، وقد جرى به أصحابه سهرة ورزقا حسنا، فما أحوج شعر المقلين إلى من ينشره ويذيعه، ما أحوج أصحابه أن ينصفوا به ويكافئوا عليه، ولا أحسب أن التعريف بهم والاختيار لهم يقعان عن هوى ومحابة، ولولا اختيار أبي تمام لشعر المقلين والمجهولين لما وقف العلماء والنقاد والدارسون عليه، وهذا ما جعل للحماسية قيمة فنية دون غيرها، فضلا عما ينطوي عليه من الجودة الفنية.

وتتجلى قيمة الحماسية الفنية أيضاً: في انصاف أبي تمام لغيره من الشعراء الذين اختار لهم مع مخالفتهم لطريقته الشعرية، وهذا ما أكدّه الدكتور/ إحسان عباس في قوله: من يقارن بين هذه المختارات التي تضمنتها دفئا ديوان الحماسة، وبين أشعار أبي تمام التي نظمها بنفسه، يستطيع أن يلاحظ أنه استطاع أن يتجاوز طريقته الشعرية، وما تميزت به من طلب للصور، ومن إغراب في توليد المعاني، واستغلال الذكاء الواعي، إلى شعر يتميز بالبساطة وشيء غير قليل من العفوية، والصدق العاطفي المباشر، وهو في اختياراته هذه يعتمد على ذوقه الخاص، وبذلك كان البون بعيداً حقاً بين اختيار أبي تمام في حماسته وبين طريقته الشعرية<sup>(20)</sup>.

وهذا الذي قال به الدكتور إحسان عباس قد نوه له الإمام المرزوقي في مقدمة شرحه للحماسة حين ذكر "أن أبا تمام كان يختار ما يختار لجودته لا غير ويقول ما يقول من الشعر بشهوته، والفرق بين ما يشتهي وبين ما يستجاد ظاهر بدلالة أن العارف بالبز قد يشتهي لبس ما لا يستجده، ويستجيد ما لا يشتهي لبسه"<sup>(21)</sup>.

ومن مقياس الجودة عند أبي تمام: 1- تجنبه للمستكر الوحشي من الألفاظ. 2- والبعد عن الغريب والركيك من المعنى. 3- البعد عن المبتذل والعامي من الألفاظ، واختياره الأجود من القول. وقد أشاد الباقلاني في كتابه "إعجاز القرآن" بصنيع أبي تمام في حماسيته وذلك في قوله: "والأعدل في الاختيار ما سلكه أبو تمام من الجنس الذي جمعه في كتاب "الحماسة"، وما اختاره من "الوحشيات"، وذلك أنه تنكب المستكر الوحشي والمبتذل العامي وأتى بالواسطة"<sup>(22)</sup>.

وقد كان لهذا المسلك الفني أثره في قيمة الحماسية الفنية، ومن هنا كانت الحماسية بمثابة عالم شعري آخر أضافه أبو تمام إلى عالمه الشعري الذي أبدعه. فلقد جمع عالم الشعر الحماسي بين المتعة والفائدة، فتحققت فيه الفائدة الممتعة المفيدة. وتتمثل القيمة للحماسة في جمالها الفني الذي جعل أبا تمام يختار من القصيدة أجود وأجمل ما فيها ويترك بعضها الآخر، ويعتمد هذا الجمال الفني للأشعار المختارة على الأصول الفنية التراثية، لجماليات القصيدة العربية التي تتمثل في عمود الشعر العربي الذي بينه "المرزوقي" في مقدمة شرحه للحماسية وهو: شرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، والإصابة في الوصف، والمقاربة في التشبيه، والتحام أجزاء النظم والتئامها على تخير من لذيذ الوزن، ومناسبة المستعار منه للمستعار له، ومشاكله اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما<sup>(23)</sup>.

وهذه المقاييس الجمالية التي استخلصها واستنبطها "المرزوقي" من خلال دراسته لشعر الحماسية واستقرائة الشعر العربي، هي التي أكسبت الحماسية قيمتها الفنية، وجعلتها تحظى بإيجاب وإجماع النقاد على ما صحب أبا تمام فيها من توفيق، مما يدفعنا إلى قوم بأن هذه الاختيارات كانت تنبئ عن المستوى الفني الذي يريد أبو تمام أن يكون عليه الشعر الجيد. ومن القيم الفنية للحماسية التي حلقت بها في آفاق الشهرة جيشانها بالمعاني الأخلاقية والإنسانية جيشانا من شأنه أن يحرك العقول والأفهام للتأمل والإفادة، والذي لا شك فيه أن هذه نظرة يعول عليها "أصحاب المعاني" الذين لم يكن لهم من وكد إلا أن يقفوا على المعنى الرونق في جزالة وعذوبة، يلتسمون في مواطنه من الحكمة البارعة التي تتسم بالفضل والشرف والوضوح والكمال...، وهذه المعاني من الفنية بمكان، بحيث تتراءى على رحم ماسة بالأنساق البلاغية، وتعمل على دواعيها من قرب المأثى أو بعده متى اقتضى المقام ذلك<sup>(24)</sup>.

وكانني بأبي تمام أراد أن يؤصل لنظرية شعرية جديدة تقوم على: شرف المعنى ونبله وجودته دون إهمال للفظ وقيمتها، وخير دليل على هذا قصيدة المقنع الكندي التي يقول في أبياتها:

|                                                                  |                                                |
|------------------------------------------------------------------|------------------------------------------------|
| وَبَيْنَ بَنِي عَمِي لُمُخْتَلَفٌ جَدًّا                         | وَإِنَّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي   |
| إِنْ هَدَمُوا مَجْدِي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْدًا                    | فَإِنْ أَكَلُوا لَحْمِي وَفَرَّتْ لُحُومُهُمْ  |
| إِنْ هُمْ هَوُوا غَيِّي هَوَيْتُ لَهُمْ رَشْدًا                  | وَإِنْ ضَيَّعُوا غَيْبِي حَفِظْتُ غُيُوبَهُمْ  |
| زَجَرْتُ لَهُمْ طَيْرًا تَمُرُّ بِهِمْ سَعْدًا                   | وَإِنْ زَجَرُوا طَيْرًا بَنَحْسٍ تَمُرُّ بِي   |
| وَلَيْسَ رَأْسُ الْقَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الْحَقْدَا               | وَلَا أَحْمِلُ الْحَقْدَ الْقَدِيمَ عَلَيْهِمْ |
| وَإِنْ قَلَّ مَالِي لَمْ أَكْلِفْهُمْ رِفْدًا                    | لَهُمْ جُلٌّ مَالِي إِنْ تَتَابَعَ لِي غَنَى   |
| وَمَا شِيمَةٌ لِي غَيْرَهَا تُشَبِّهُ الْعَبْدَا <sup>(25)</sup> | وَإِنِّي لَعَبْدُ الصَّيْفِ مَا دَامَ ثَاوِيًا |

فالمعاني هنا شريفة صحيحة، والألفاظ واضحة فصيحة، والأنساق البلاغية تطل علينا من نوافذ حروفها وتراكيبها وروعة تصويرها، فأضافت على المعنى قوة وجمالا وروعة وبهاء وتأثيرا.

ويقوم مذهب أبي تمام في اللفظ والمعنى على اعتماد "المعنى غير المألوف، واستخدام الكلمة العربية بطريقة غير مألوفة، أي نقل اللفظ عن معناه المعروف.. وهو مذهب جديد مخالف للطريقة التقليدية في كتابة الشعر آنذاك. لكنه، إذا كان خروجاً على الطريقة، فهو ليس خروجاً على الشعر، بل إنه أفق شعري آخر"<sup>(26)</sup>. وعلى الرغم من مهاجمة النقاد مذهب أبي تمام في اللفظ والمعنى، نراهم، بالنسبة إلى المعنى، قد سلّموا له بالشيء الذي هو ضالة الشعراء وطلبته، وهو لطيف المعاني.

أما فيما يخص اللفظ، فنرى الزمخشري يدعو إلى الاستشهاد بشعر أبي تمام نفسه، فيقول: "وهو، وإن كان محدثاً لا يُستشهد بشعره في اللغة، فهو من علماء العربية، فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه. ألا ترى إلى قول العلماء: الدليل عليه بيث الحماسة، فيقنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه"<sup>(27)</sup> ويذكر أن الزمخشري نفسه استشهد بشعر أبي تمام في الكشف.

ومن القيم الفنية للحماسة أيضاً: صدق التجربة الشعرية في مختاراتها، ونعني به صدق شعراء الحماسة في التعبير عن عواطفهم ومشاعرهم وخواطرهم التي تحبش بها نفوسهم، والتي يمتاطونها من عالمهم الشعوري والنفسي، وعالمهم الخارجي المحيط بهم بكل أحداثه وتطوراتها وظواهره. وإذا كان صدق التجربة الشعرية لا يعني بالضرورة معاناة الشاعر للتجربة وخوض التجربة بنفسه حتي يصفها، فإن شعر الحماسة قد تحققت فيه معاناة الشاعر لتجربته في أبواب الحماسة كلها،

فقد عبّر الشعراء بصدق عن عواطفهم ومشاعرهم الحماسية في أثناء حروبهم، وبعد الحروب في رثاء فرسانهم وأبطالهم، وكما صوروا لنا قوة دفاعهم للحرب، صوروا لنا قوة انفعالهم لطلب الثأر من أعدائهم، والانتقام من خصومهم. وكذلك عبروا بصدق عن مشاعرهم الصادقة وعواطفهم الملتهبة في حزنهم وغضبهم، وذوب وجدانهم في نسيبهم، ونسوة النفوس في كرمهم وجودهم وقرى ضيوفهم، وغرقهم ونجدتهم ومروءتهم ...، فجاء تعبيرهم ملائماً للشعور والإحساس، ومن هنا كان ديوان الحماسة عالماً عامراً بالمشاعر المتوهجة، فياضاً بالواطف المتأججة، مثيراً لكوامن النفس ونوازع الوجدان، وفيما ذكرناه سابقاً من أشعار غناء هنا عن التكرار.

ومن أهم عناصر التجربة الشعرية التي تحققت في شعر الحماسة وأضافت إليها قيمة فنية وبعداً جمالياً إلى جانب القيم الفنية والجمالية الأخرى عنصر البناء الموسيقي، وأهم ما يميزه هو الوزن والقافية، فالوزن كما يقول ابن رشيق: أعظم أركان جد الشعر، وأولاهها به خصوصية، وهو مشتمل على القافية وجالب لها ضرورة. وتتجلى قيمة الوزن في ائتلافه مع اللفظ وائتلافه مع المعنى، بحيث لا يزيد اللفظ لاستقامة الوزن ولا ينقص وكذلك المعنى، فتمام الألفاظ والمعاني واستقامتها مع استقامة الوزن وعدم الإخلال به يسمو بالجانب الإيقاعي في العمل الشعري ويزيده جمالاً<sup>(28)</sup>. وباستقراء لأشعار الحماسية نجد أوزانها قد جاءت من البحور ذات الهدير الموسيقي والجلجلة الصاخبة، ويتمثل هذا في بحر الطويل، والوافر، والكامل، والبسيط، وقد استقرت هذه البحور معظم أشعار الحماسية، وقد شاعت هذه البحور في شعرنا العربي ونظم فيها أكثره.

ويقول الشاعر الحماسي جعفر بن علبة الحارثي من الطويل:

هَوَايَ مَعَ الرَّكْبِ الْيَمَانِيْنَ مُصْعِدٌ      جَنِيْبٌ وَجُنْمَانِيْ بِمَكَّةَ مُوْتَقٍ  
عَجِبْتُ لِمَسْرَاهَا وَأَتَى تَخَلَّصْتُ      إِلَيَّ، وَبَابُ السَّجْنِ دُونِي مُغْلَقُ

وقد وردت بقلة في الحماسة بحور: الهزج، والمديد، والرمل، والخفيف، والسريع، والمنسرح، والمتقارب، ولم نجد صدى لبحور: المضارع، والمقتضب، والمجتث، والمتدارك، والرجز، فالبحور الطوال وفي مقدمتها بحر الطويل الذي انتظم معظم أشعار الحماسية تتناسب وموضوعات الحماسية والانفعالات النفسية لشعرائها، لما فيها من قوة وفخامة ووصف وتأمل وطول نفس واستقصاء للموصوف، وقص وتفصيل، واستيعابها لنظرات الشعراء وتجاربهم في الحياة، وقوة انفعالهم وثورة مشاعرهم وفوران عواطفهم. فالعلاقة

بين المشاعر والأحاسيس، وبين الأوزان علاقة عضوية قوية، لما للأوزان الحماسية متناسقة متناغمة مع مشاعرهم وأغراضها، فجاءت أشعارها في صورة منظومة شعرية من أعذب الألحان ورائع النغم. وما يقال عن الأوزان يقال عن القوافي، فالوزن والقافية صنوان متلازمان، وهما يمثلان الركن الأعظم في البناء الموسيقي في أشعار الحماسية، متلائما مع الوزن والغرض والشعور، ولذلك خلت الحماسية من روي: الثاء، والذال، والخاء، والطاء، والزاي، والواو، لعدم تناسبها مع المثلث المذكور. وقد أضفي هذا التناسب على أشعار الحماسية رونقا وجمالا، وأكسبت ديوان الحماسية قيمة فنية وجمالية ضمنت له الذبوع و البقاء. وقد حرص أبو تمام في الحماسة على إشاعة أصداء القوة في مستوى الإيقاع الداخلي بما يتوسل به من اختيارات لفظية توسع دائرة انتشار الأصوات الشديدة كما المفخمة يقول أبو تمام:

فَتَى مَاتَ بَيْنَ الطَّغْنِ وَالضَّرْبِ مِيتَةً      تَقُومُ مَقَامَ النَّصْرِ إِذْ فَاتَهُ النَّصْرُ  
وَمَا مَاتَ حَتَّى مَاتَ مَضْرِبُ سَيْفِهِ      مِنَ الضَّرْبِ وَاعْتَلَّتْ عَلَيْهِ الْقَنَا السُّمُرُ

فانظر كيف تتعاود الأصوات المفخمة بشكل لاقت في هذين البيتين (الطَّغْنِ، الضَّرْبِ، النَّصْرِ، مَضْرِبُ، الضَّرْبِ)، وتبرز قوة الإيقاع أيضا من خلال الحضور المكثف لظاهرة التضعيف في الكلام، أو لوسائل التأكيد. ومن القيم الصوتية التي يقوم عليها البناء الموسيقي، موسيقى الكلمة والأسلوب، فللكلمة وقعها وإيقاعها المؤثر في النص الشعري، ويزداد هذا التأثير بضمها واتساقها مع الكلمات الأخرى التي يتكون منها الأسلوب، وقد كان للحماسية الحظ الأوفر من هذه القيم الصوتية، وليس أدل على ذلك من قول الشاعر:

أَلَمْتُ فَحَيَّتْ ثُمَّ قَامَتْ فَوَدَّعْتُ      فَلَمَّا تَوَلَّتْ كَادَتْ النَّفْسُ تَرْهَقُ

وقول الشاعر:

فَصَبْرًا فِي مَجَالِ الْمَوْتِ صَبْرًا      فَمَا نِيلُ الْخُلُودِ بِمُسْتَطَاعِ

وقول الشاعر (29):

وَالْمَانِعِينَ مِنَ الْخَنَا جَارَاتِهِمْ      وَالْحَاشِدِينَ عَلَى طَعَامِ النَّازِلِ  
وَالْخَالِطِينَ فَقِيرَهُمْ بِغَنِيِّهِمْ      وَالْبَادِلِينَ عَطَاءَهُمْ لِلْسَائِلِ  
الضَّارِبِينَ الْكَنْشَ يَبْرِقُ بَيْضُهُ      صَرَبَ الْمُهَجَّجِ عَنْ حِيَاضِ الْآبِلِ  
وَالْقَائِلُونَ فَلَا يُعَابُ كَلَامُهُمْ      يَوْمَ الْمَقَامَةِ بِالْقَضَاءِ الْفَاصِلِ

وقول الشاعر (30):

دُمْ لِلْخَالِيلِ بِوُدِّهِ      مَا خَيْرُ وَدٍّ لَا يَدُومُ  
وَأَعْرِفْ لِحَارِكِ حَقَّهُ      وَأَلْحَقْ يَعْرِفُهُ الْكَرِيمُ  
وَأَعْلَمْ بِأَنَّ الضَّيْفَ يَوْمًا      سَوْفَ يَحْمَدُ أَوْ يَلُومُ  
وَالنَّاسُ مُبْتَنِينَ مَحْمُودُ      الْبِنَايَةِ أَوْ دَمِيمُ  
وَأَعْلَمْ بُنْيَ فَإِنَّهُ      بِالْعِلْمِ يَنْتَفِعُ الْعَلِيمُ

وقول الشاعر:

بَيْضٌ مَفَارِقُنَا تَغْلَى مَرَاجِلُنَا      نَأْسُوا بِأَمْوَالِنَا آثَارَ أُيْدِينَا  
إِنِّي لَمَنْ مَعْشَرٍ أَفْنَى أَوَائِلِهِمْ      قِيلُ الْكُفَاةِ أَلَا أَيْنَ الْمُحَامُونَا

وهكذا كانت القيم الصوتية بأبعادها الجمالية تمثل قيمة من قيم الحماسية الفنية، فضلا عن أنها تتم عن مدى الحس الموسيقي المرفه الذي كان يتمتع به أبو تمام.

ومن قيمة الحماسية الفنية أيضاً، أنها أول مجموعة من المختارات الشعرية التي تصنف فيها الأشعار تصنيفاً موضوعياً، وهو تصنيف جذب إليه كثيرا من الشعراء والعلماء واللغويين فصنفوا حماسيات على غرار حماسة أبي تمام، فهناك حماسة البحتري، والخالدين، وأحمد بن فارس، وأبي العلاء المعري، والحماسة البصرية، والمغربية. كما عني كثير من العلماء واللغويين بشرحها، وقد ذكر الأستاذان أحمد أمين، وعبد السلام هارون في مقدمة تحقيق شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ثلاثين شرحاً لحماسة أبي تمام، وفي هذا دلالة على أهميتها الفنية وقيمتها الأدبية<sup>(31)</sup>. وإذا كانت القيمة الفنية للعمل الأدبي ترتبط كثيرا بالعوامل التاريخية والثقافية مما يجعلها تتفاوت قوة وضعفاً بتفاوت تلك العوامل، فإن قيمة الحماسة الفنية تكمن في نصوصها وذاتها فضلا عن ارتباطها بتاريخ الأمة ولغتها وقيمها وأخلاقياتها وفنها الأعلى "الشعر"، وهذا هو سر بقائها وفرض وجودها على الساحة الأدبية والنقدية عبر العصور الأدبية.

للهامسية إذن قيمة فنية لا سبيل إلى إنكارها، لكن لا يمكن بأي حال من الأحوال التغافل عما لهذا الشعر من أهمية، إن في مستوى ما عبر عنه من معانٍ جلية، وإن في مستوى الوقائع التي نفض عنها غبار النسيان. والحقيقة أن هذه الأبعاد المختلفة تتكامل وتتفاعل وتتضافر، لتعطي لهذا الشعر تلك المكانة المميزة في الشعر العربي، وفي وجدان الجمهور وذائقته، وبذلك فإنّ تغييب جانب من هذه الجوانب لا يستقيم معرفياً وأدبياً، لأنّ الشعر العظيم هو ذلك الذي يحقق المعادلة الصعبة بين الفن والدلالة والشكل والمضمون والجمال والفكرة.

#### الخاتمة:

حمداً لله، وصلاة وسلاماً على رسول الله وبعد، فهذا أمسك بعنان القلم . بعد هذا التطواف والتحليق في أجواء التراث الأدبي ممثلاً في حماسية أبي تمام .

والذي تنتهي إليه أنّ أهمية شعر الحماسية تعود إلى ما توخاه الشعراء من ضروب التقنن في الإيقاع والعبارة، كما تعود إلى ما احتفوا به من معاني الشجاعة والبطولة الحربية، وما عبروا عنه من قيم إنسانية سامية، وأيضاً إلى ما سجلوه من وقائع تاريخية ما تزال بفضل الشعر حية في الذاكرة الجماعية للعرب والمسلمين، ولما كان الشعر الحماسي هو جماع كل ذلك؛ فإنه يمكننا التساؤل لماذا ظلّ هذا الشعر حبيب الأغراض الكلاسيكية رغم اكتمال المقومات التي تؤهله إلى أن يستقيم غرضاً مستقلاً بذاته؟

وتعد الحماسية مصدراً أصيلاً من مصادر الشعر العربي بخاصة والتاريخ العربي بعامة.

وكما تتميز الحماسية بأنها رائدة في بابها، وحجة في أشعارها، وعمدة في قيمها اللغوية والبيانية والفنية والجمالية.

و بعد. فهذا جهد المقل حاولت من خلاله أن أقترح عرين أبي تمام فقصر خطوى، وحق له ذلك فأين الثرى من الثريا؟! و الخليج من المحيط؟!

فإن كنت قد قصرت فلما ذكرت، وإن كنت قد وفقت فمن الله، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيت.

وصلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم.

(\*)- انظر في ترجمته وأشعاره وأخباره: الأعلام للزركلي ج:2/155، والأغاني للأصفهاني ج:17، أخبار أبي تمام للصولي، أبو تمام للجمال سلطان، نظرية الشعر عند أبي تمام رسالة دكتوراه جامعة مروا الكامبيرون لأبو سليمان، ص:45

(1)- الفن ومذاهبه، ص: 219 . ط: المكتبة الأزهرية للتراث الطبعة الأولى. بدون سنة الطبع.

(2)- أبو تمام وقضية التجديد في الشعر ص: 38.

(3)- أخبار أبي تمام ص: 197.

(4)- أيام العرب في الجاهلية، ص: 234

(5)- دراسة في حماسة أبي تمام، ص: 234

(6)- دراسة في حماسة أبي تمام، ص: 234، وانظر أيام العرب في الجاهلية، ص: 51

(7)- دراسة في حماسة أبي تمام، ص: 234

(8)- شرح ديوان الحماسة للتبريزي، ص: 345.

(9)- شرح حماسة أبي تمام، ص: 156.

(10)- حماسة أبي تمام و شروحها، ص: 325.

(11)- حماسة أبي تمام و شروحها، ص: 325.

(12)- دراسة في حماسة أبي تمام، ص: 254.

(13)- العمدة لابن رشيق: 57/1

(14)- معالم الشعر و أعلامه في العصر العباس الأول، ص: 275.

(15)- القضايا الأدبية و الفنية في شرح المرزوقي لديوان الحماسة، ص: 143.

(16)- إعجاز القرآن، للباقلاني، 234/1.

(17)- إعجاز القرآن، للباقلاني، 234/1.

(18)- الكامل في اللغة و الأدب (35 /1)

(19)- المنقصوص والممدود والتنبيهات ص: 96، وانظر مجالس ثعلب: 141/1.

(20)- شروح حماسة أبي تمام دراسة موازنة في مناهجها وتطبيقاتها (ص: 37)

(21)- المرجع السابق (ص: 37)

(22)- إعجاز القرآن للباقلاني (ص: 117)

(23)- شرح ديوان الحماسة، ص: 45

(24)- القضايا الأدبية و الفنية في شرح المرزوقي لديوان الحماسة، ص: 234.

(25)- ديوان الحماسة (ص: 125)

(26)- نظرية المعنى، مصطفى ناصف، ص: 57- 58.

(27)- الكشف للزمخشري: 119/1.

(28)- في الشعر العباسي الرؤية و الفن، ص: 263.

(29)- شرح حماسة أبي تمام (2/ 290).

(30)- المرجع السابق (2/ 146)

(31)- أبو تمام وقضية التجديد في الشعر، ص: 45.

## Index des sources et références

1- Abu Tammâm Al-Taai, sa vie et sa poésie. Naguib Muhammad Al-Bihbiti - Al-Najah Press - Casablanca - 1983

2- Abu Tammâm et la question du renouveau de la poésie. Dr/ Abda Badawy - Le livre général égyptien de l'année 1985 après JC.

3- Nouvelles d'Abu Tammâm. Par Abou Bakr Al-Souli, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beyrouth, Liban: 1989.

4- Miracles du Coran. Par Al-Baquillani Abu Bakr - Édité par M. Ahmed Saqr. Dar Al Ma'arif - Egypte - Cinquième édition 1981.

- 
- 5- AL-Hamassiya d'Abu Tammâm et ses explications. Écrit par Hussein Muhammad Naqsha - L'Organisation générale égyptienne du livre en 1987.
  - 6- Histoire de la littérature arabe. Karl Brockelmann - traduit par Dr. Abdel Halim Al-Najjar et autres - Dar Al Ma'arif - Le Caire - Troisième édition..
  - 7- L'histoire de la critique littéraire chez les Arabes (critique de la poésie du IIe au VIIIe siècle de l'Hégire) d. Ihssan Abbas - Edition Maison de la Culture - Beyrouth - deuxième édition 1978.
  - 8- L'équilibre entre Abu Tammâm et Al-Buhtri. Pour le long terme - édition des aspects à Astana année 1287 AH.
  - 9- Repères de la poésie dans la première ère Abbas. Dr. Muhammad Nabih Hijab - Maison du savoir en Egypte - Deuxième édition 1972.
  - 10- Questions littéraires et artistiques dans l'explication de Marzouki sur Diwan al-Hamassiya. Dr. Fathi Muhammad Abu Issa - Dar Al Ma'arif - Egypte 1983.
  - 11- Al-Umda, son étiquette et sa critique. Par Abu Ali al-Hasan bin Rashid al-Qayrawani - Édité par Muhammad Mohi al-Din Abd al-Hamid - Dar al-Jeel Beyrouth - Cinquième édition 1981
  - 12- Poésie de guerre dans la littérature arabe aux époques omeyyade et abbasside d. Zaki El-Mahasni - Dar Al Ma'aref - Egypte - Deuxième édition.
  - 13- Explications d'AL-Hamassiya d'Abu Tammâm. Dr. Muhammad Othman Ali - Première édition - Dar Al-Ouzai pour l'impression et l'édition - Beyrouth, Liban.
  - 14- Explication du livre Al-Hamassya. Pour Abu Al-Qasim Zaid bin Ali Al-Farsi - Etude Dr. Muhammad Othman Ali - Première édition - Dar Al-Awraei pour l'impression et l'édition - Beyrouth.
  - 15- Explication du Diwan d' AL-Hamassiya. Par Abu Ali Ahmed bin Muhammad bin Al-Hassan Al-Marzouki - Montage par Ahmed Amin - Abd Al-Salam Haroun - Deuxième édition 1967 AD - Comité des auteurs, de la traduction et de l'édition - Le Caire.
  - 16- Explication du Diwan d'AL-Hamassiya Par Abu Zakaria Yahya bin Ali al-Tabrizi - Le monde des livres - Beyrouth.
  - 17- Une étude sur AL-Hamassiya d'Abu Tammam. Écrit par Ali Najdi Nasif - Dar Al-Nahda Egypte pour l'impress